بنية الشخصية في القصيدة الشعرية عند الهذليين

مستخلص من رسالة ماجستير:

(بنية القص في الخطاب الشعري شعر الهذليين نموذجا)

إعداد

محمود محمد عبد الحي

باحث ماجستير – قسم الدراسات الأدبية

إشـــراف

ا .د .عبد المنعم ابوزيد عبد المنعم

أستاذ بكلية دار العلوم جامعة الفيوم

د/ بيومى محمد بيومى طاحون

أستاذ المساعد بكلية دار العلوم جامعة الفيوم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعدُ؛ فالمتعارف عليه شهرة العرب مُنذ القِدَم بالشعر، وَقَد عُرّفَ الشعرُ قَديماً بِـ «مَنظُوم القول غُلِبَ عَليهِ الوَزن والقافية وإن كانَ كُلّ عِلمٍ شِعراً» وهو تَعريف ابن منظور في لسان العرب، ويعرف الشعر فِي الوقت الحالي بِـ «النظام الموزون، يتركّبُ تركّباً مُتعاضِداً، ويكون مَقفّى وموزونًا، وإذا خلا مِن هذه القيود لا يُسَمّى شِعراً ولا قائلهُ شاعراً»، وبالتالي هناك أربعة شروط للشعر هي: المعنى، والوزن، والقافية، والقَصِد .

ومن ثم كانت له مكانة خاصة وأهمية عند رواده العرب وعلى سبيل الذكر لا الحصر:

الشعِر فِي عَصرِ الجاهليّة –قبلَ ظهور الإسلام . . كانَت العَرب تُقيمُ الأفراح إذا ظَهَرَ مِن أبنائها شاعِرٌ مُبدِع، لأنّ الشعر قَديماً كان يَرفَعُ مِن قِيمَةِ القبيلة وَيُغَيّر مِن مَكانَتِها إلى الأفضل بَينَ القبائل.

ومن الوظائف المشهورة المهمة للشعر هو حماية القبيلة، والدفاع عنها، وإظهار شرفها. والشعر مصدرٌ للمعرفة، والفكر، والحكمة، ومن الوظائف المهمة للشعر تهذيب النفوس وتربيتها، فيجعل البخيل كريماً، والجبان شجاعاً، وهو أفضل وسيلة لحفظ اللغة، وتفصيح اللسان، منه تُتّخَذ الشّواهد والأمثال.

وتأسيسا على ذلك فالشعر يعد الفن الأكبر من فنون الأدب والأكثر رواجاً وإمتاعاً للنفس، وشهرته وتأثيره في النفوس علي مر العصور أوضح من غيره؛ لذلك؛ فعندما يذكر الأدب؛ فإن الشعر أول ما يتبادر إلي الذهن، لقوة دلالته عليه، فقد حفظ الشعر الأمجاد والبطولات والثقافات والمذاهب والأحداث، فكما

كانت الأمم السابقة تخلد مآثرها بالبنيان والحصون، فإن العرب يعتمدوا علي الشعر في حفظ الحياة الأدبية بجميع أجناسها المختلفة.

وعلى أية حال فالشعر ديوان العرب، وسجلّ تاريخهم، و لم يزل الإقبال عليه والاهتمام به : روايةً وجمعًا و دراسة، ومن هنا كان هذا البحث دائرًا في فلك هذا الاهتمام؛ إذ يقوم البحث علي بنية الشخصية في القصيدة الشعرية عند الهذليين.

فاستخدم الشاعر القديم بعض العناصر الدرامية والسردية في شعره بعفوية؛ إذ لم تكن الحدود الاصطلاحية واضحة لديه، فقد كان يحاكي واقعاً تجلي له، فعبر عنه بتلقائية وعفوية، بطريقة فنية مائزة احتضنت طاقة درامية سردية أغنت الشعر، ورفدته بحركة راصدة لفكر المبدع، وعاطفته وخياله؛ فأدي تلاقح السمات الدرامية والسردية في النص الشعري إلي خلق أسلوب شعري جديد يجسد انفتاح النص الشعري علي أنواع أدبية أخري، تحقق آلية تجاوزه مع النثر بوصفه الجنس الأدبي المفارق له، فاجتمعت عناصر السرد والوصف والحوار وغيرها في قصائد كثيرة من أشعار هذيل، فقد تعانق فيها السرد بوجهه الحكائي القصصي الشائق مع البعد الدرامي ذي الطابع التراجيدي الخاص، وانصهرا في نسيج القصيدة؛ ليغنيا الأساليب الفنية، ويساعدا علي تجسيد التجربة.

أهمية البحث:

يهتم هذا البحث في إلقاء الضوء على بنية الشخصية عند الهذليين لأهمية هذيل نفسها وبطونها ومكانتهم بين ديار العرب ولما لديهم من أكابر الشعراء فى زمانهم اللذين قرضوا شعراً جيداً شهد به القاصى، يهدف هذا البحث إلي الكشف عن عنصر بنية الشخصية الكامنة في بنية النص الشعري القديم، وبيان أهميتها في

تفعيل رؤي المبدع، والتعبير عن بعض ألوان الصراع الدرامي الذي كان يعيشه، لا سيما الصراع الدرامي الوجودي بين الحياة والموت.

ويلقي البحث الضوء علي إمكانية تجاوز الخطاب الحكائي ضمن بنية النص الشعري القديم، محققاً بذلك أفقاً نقدياً حديثاً في دراسة الشعر القديم الذي يظهر فيه نوع من التداخل مع النثر عبر توظيفه التلقائي مكونات درامية وسردية مختلفة أبرزها بنية الشخصية داخل النص الشعري.

منهج البحث:

استخدمت فى البحث المنهج الوصفى التحليلى.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث الذي هو بعنوان: " **بنية الشخصية في القصيدة الشعرية عند الهذليين**"، من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة: تتضمن أهمية الشعر بالنسبة للعرب عامة، وهذيل خاصة، ثم أهمية الموضوع وأسباب اختياره، **ومنهج البحث.**

التمهيد: وتحدثت فيه عن أهمية الشخصية وبنيتها، ومدى أهميتها داخل الشعر.

المبحث الأول: تضمن علاقة الشخصية بالشخصية، وأوضحت فيه نوعين من أنواع علاقات الشخصيات ببعضها البعض من حيث الجانب الإيجابي أو السلبي.

المبحث الثاني: أوضحت فيه علاقة الشخصية بالحدث، ومدي تأثر كل منهما بالآخر، من تأثير الشخصية على الحدث، أو تأثير الحدث علي الشخصية.

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن علاقة الشخصية بالزمان، وتلازمهما الدائم داخل أي قصيدة.

المبحث الرابع: وفيه تناولت علاقة الشخصية بالمكان، واتساقهما دائماً علي خط واحد وأهمية كل منهما للآخر.

□التمهيد:

الشخصية هي محور العمل القصصي والبناء الحكائي ومن أهم ركائزها هو شبكة العلاقات التي ترتبط معها في مكونات العمل القصصي، فبناء الشخصية هو من يحدد اللغة المستخدمة في الخطاب، فالعمل القصصي " ينهض على طائفة من الخصائص والتقنيات والعناصر والمشكلات: كالشخصية، والحبكة، والزمان، والحيز، والحدث، واللغة، وتلتزم بالمنطق القائم على تعليل الأشياء وربط بعضها ببعض"(١).

"فكأن الشخصية في القصة الشعرية كانت هي كل شئ؛ بحيث لايمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الشاعر فيها؛ والسعي إلى إعطائها دوراً ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للشاعر الذي كان يعرف كل شئ، عن شخصيات روايته، وعن أحداثها، وزمانها، ومكانها؛ وبذلك كانت الشخصية تلعب الدور الأكبر في أي عمل شعري"(٢).

فالشخصية هي الركيزة الأولي والأساسية في العمل القصصي، التي تتعلق بها كافة مكونات البناء القصصي، فبدونها لاتوجد قيمة للقصة؛ لأنها هي من تعطي المعني والقيمة لباقي عناصر الرواية، فمن هنا ظهرت جلياً القيمة الفنية بين الشخصية ومكونات القصة.

لذلك " أصبحت كل عناصر السرد تعمل على إضاءة الشخصية وإعطائها الحد الأقصي من البروز وفرض وجودها في جميع الأوضاع"(٣).

المبحث الأول: الشخصية بالشخصية

تقوم القصة على العلاقة بين شخصيات العمل القصصي الواحد والتفاعلات، والأحداث، والصراعات القائمة بين الشخصيات في هذا العمل؛ فبالنظر إلى الديوان نجد أنفسنا أمام مجموعة من شبكة الشخصيات المختلفة، فمنها ما يجمع بينهم علاقات قوية ومترابطة، ومنها الشخصيات القائمة على مبدأ الصراع الدائم؛ وإذ تتعدد هذه الشخصيات وإختلافها، فإنها لا تأخذ شكلاً واحداً، فلكل منها شكله، ونمطه، وخصائصه، ودوافعه.

وهناك شكلان من أشكال العلاقات الإنسانية بين الشخصيات المختلفة، يحددهما نمطان مختلفان لشكل هذه العلاقة؛ النمط الأول: وهو الشكل الإيجابي لعلاقة الشخصيات فهو دائما يقوم على قصائد المدح والفخر؛ أما النمط الثاني: فهو النمط السلبي الذي يقوم على قصائد الهجاء التي تحدد شكل هذه العلاقة.

ومن نماذج العلاقة الإيجابية بين الشخصيات رثاء ساعدة بن جؤية لابن أبي سفيان، وهنا أود أن أسجل ملاحظة في نظرنا غاية في الأهمية؛ فالرثاء إذ ما قارناهُ بغيره من ألوان الشعر الهُذلي نجدهُ أكثر مصداقية من غيره؛ لكونه المرآه الصادقة التي تنبع من خلجات النفس على عكس المدح الذي قد يكون مداهنة لبعض الأشخاص للظفر ببعض المقاصد، كالتقرب من شخص، أو درءاً لسلطوية أحدهم عليه.

يقول، ساعدة بن جؤية:

في هذه الأبيات تتضح مدي عمق وأثر علاقة الشخصيتين ببعضهم البعض، فيقول ساعدة:

ألا باتَ مَن حَولي نِياماً وَرُقَّداً وَعاوَدَني حُزني الَّذي يَتَجَدَّدُ

وَعاوَدَني ديـــني فَبِـــتُّ كَأَنَّمـــا خِلالَ ضُلوعِ الصَدرِ شِرعٌ مُمَدَّدُ

أنه عندما يحين الليل ويمسي جميع من بالحي نياماً، يتذكر خليله وصـــاحبه وأن حزنه على صاحبه يتجدد دائماً ويعاوده؛ كأن حنينه إلي صـــديقه كضـــرب العود بين أضلاعه، ولكنه يتذكر وحشة صاحبه وأنه لو كان ابني اذ أصابه ما قدر له من الموت بجانب من يوده ويكرمه لكان أهون لما بي.

وَلكِنَّمـــا أَهلـــي بِـــوادٍ أَنيسُـــهُ سِباعٌ تَبَغّى الناسَ مَثنى وَمَوحَـــدُ

أَلا هَل أَتـــى أُمَّ الصَـــبِيَّينِ أَنَّـــني عَلى نَأيِها حِملٌ عَلى الحَيِّ مُقعَدُ

ولكنه بواد ليس له أنيس مع الذئاب والوحش، وأنه أصبح ثقيلا في وســـط الحي لا ينتفع به وكأن ثقله كثقل الجبال، وأنه أصبح بمكان بعيد عن الحي ألقـــي فيه وليس لديه من يقوم عليه.

وَمُضطَجَعي نابٍ مِنَ الحَيِّ نـــازِحٌ وَبَيتٌ بِناهُ الشَوكُ يَضحى وَيَصرَدُ

وصار بيته كشجرة الشوك كل من يمر بها تصيبه الشمس، كمـــا يصـــيبه البرد، فمن خلال بيان معني الأبيات يتضح لنا حزن ساعدة بن جؤية على صاحبه، كما أنه اعتزل الناس حزناً على فراقه الأليم، فهنا نري أصدق حـــالات العلاقـــة الإيجابية بين الشخصيات من خلال الرثاء، فهو يعد المرآه الصادقة لتبيـــان مـــدي إيجابية العلاقة بين الشخصيات.

أما عن العلاقة السلبية بين الشخصيات، فالعلاقة السلبية في الشعر تتمثل من خلال قصائد الهجاء والذم وتأخذ باباً كبيراً، فنري هذه الصـــورة تتمثـــل نظـــراً

للصراعات والمشاحنات والحروب القائمة بين الأشخاص أو القبائل ؛ فمنهم من يهجو دفاعاً ومنافرة عن شخصه ومنهم من يهجو ظلماً حتي يصل لهدفه وغايته.

وتتضح هذه الصورة في أبيات مالك بن الحارث يهجو فيها بني جزيمة وبني شليل:

تقول العاذِلاتُ أكلَّ يَوْمٍ رِجْلةِ مالِكٍ عُنُقٌ شِحاحٌ

كذلك يُقتَلون معى ويومًا أَءُوب بهمْ وهمْ شُعْثٌ طِلاحُ(٤)

في هذه القصيدة لوحة قصصية تعبر عن سلبية العلاقة بين مالك بن الحارث وبني جزيمة، ونري فيها الشخصية الرئيسية وهو مالك بن الحارث كما أنه الراوي أيضاً وفيها جماعته وهي شخصيات ثانوية، يحكي فيها عن حربه ضد بنو جزيمة وصراعه معهم وهم شخصيات اعتبارية؛ وتتضح العلاقة السلبية في هذا النص وهي الهجاء والمخاصمة بين الشخصيات وقد بدأت الإشارة لهذه العلاقة العلاقة السلبية منذ البيت الأول الذي حمل من الشاعر من خلاله الإنكار لقول الحاسدين له أنه يخرج كل يوم لسربة أي مع جماعة من رجاله، عنق أي أهل شدة وبصر كأنهم أشحاء على ما في أيديهم، ويروي مالك أنه يخرج معهم، فيوماً ينتصرون ويغنمون وأخر يرجعون وهم طلاح من شدة التعب والإعياء، فهم يُقتَلون مرة ويفرون من المعركة ومرة أخرى يغلبون وينتصرون وهم معه وتنعكس هنا إعتزاز الشعر بنفسه وصورته النفسية وحالته الأيديولوجية.

ومن تَقْلِل حَلُوبَتُه ويَنْكُلْ عن الأعداءِ يَعْبُقه القَراحُ

رأيتُ مَعاشِرًا يُثنَى عليهمْ إذا شَبِعوا وأوجهُهُمْ قِباحُ

يَظَلُّ المُصْــرِمون لهــم سُــجودًا ولو لم يُسْقَ عنــدهمُ ضَــياحُ[٥]

يخاطب القوم ويهزأ بهم بأن من يأتيهم وقد قلت حلوبته فإن كان منهم من لا يعِز لا يكن له لبن، ويكن الماء القراح من نصيبه، فالشاعر يخبرنا عــن حالــة نفسية سيئة لهؤلاء القوم، وأنهم يمايزون بين الناس على حسب أقدارهم، ويكمــل الشاعر في هجائهم بأنه رأىَّ هؤلاء القوم بني شليل يثني علىهم لأنهم ذوو مــالٍ بالرغم من قباحة وجوههم، لأن المال يزينهم، وبالرغم من كثرة أمــوالهم فــإنهم يفصحون عما بداخلهم إذا قصدهم سائل فيعطونه البن الرقيق كثير الماء.

المبحث الثاني: الشخصية بالحدث

العلاقة بين الشخصية والحدث علاقة طردية، حيث إن الشخصية الفاعلة دون حدث تكون عديمة الفائدة، فهي العلاقة الأهم داخل القصيدة القصصية، التي تترابط معها أفكار وأفعال القاص أو الشاعر نفسه، والقصيدة القصصية أحد مكوناتها الرئيسة الأحداث المباشرة وغير مباشرة داخل سياق القصيدة " ويخلص الشاعر الشخصية من معطياتها التراثية، والثقافية مؤكداً على جانب من جوانبها؛ يمنح نصه بعداً دلالياً جديداً يتواءم مع رغباته ورؤيته للعالم، يستخدم من خلاله منظور التقابل مع كينونته، من خلال الأصوات السردية المتنوعة، فلا يوجد حدث دون شخصية وليست هناك شخصية سكونية دون حركة أو فعل"(٦).

أهم العلاقات داخل القصة هي العلاقة التي تجمع بين الشخصية والحدث، ومن الخطأ التفرقة بين الشخصية والحدث لترابطهما القوي ببعضهم البعض، لأن لا يوجد حدث بدون شخصية، لأن الشاعر أو القاص لو اقتصر على تصوير الحدث دون الإخبار بمن قام بهذا الحدث لأصبحت حكايته مجرد إخبار عن شئ.

ومن ثَمَّ فالرابط بينهما أقوي من أن يستغني أحدهما عن الأخر، نظراً للتأثير وطردية العلاقة بينهما، " فالقاص يعرض علينا الشخصيات متفاعلة مع أحداثها، فالقصص تعرض صورة صادقة من الحياة، بالرغم من أنها بشعة وقاسية في عرضها، لكنها تتصف بالصدق والأمانة في عرضها وتتميز بدقتها في التصوير دون تملق من الكاتب لذوق القارئ، فالموضوع ليس كل شئ في القصة بل ترابط الشخصيات مع أحداثها"(٧).

الشخصية والحدث اعتمادهما على علاقتهما الطردية وارتباطهما ببعض؛ يولد لنا علاقة ديناميكية بين كلا الطرفين، فالحدث يقوم بدور أساسي يعتمد على الكشف بما يدور داخل الشخصية، كما أنه لا يوجد حدث بدون الشخصية وإلا

تكون سكونية، فتفقد وظيفتها الرئيسية، فالشخصية هي من تقوم بدفع الأحداث إلي الأمام أو ثباتها أو اسراعها وابطائها على حسب حركة الشخصيات داخل النص القصصي والشعري، أو كما يوجهها الراوي؛ لكنه يجب عليه أن يسيّر كلاهما في إتجاه واحد حتي لايفقد أي منهما قيمته داخل حركة النص.

١- تأثير الشخصية في الحدث:

طبيعة العلاقة التي تربط بين كل من الشخصية والحدث، تتصف بالتحور المستمر دون جمود، كما أن الشخصية تتأثر بالحدث " ما الشخصية إن لم تكن ما تقرره الحادثة؟ وما الحادثة إن لم تكن توضيحاً للشخصية؟ فعلى الرغم من كونها مندمجة مع الحدث، فإنها لا تكون منحلة فيه"[٨] ، وبالرغم من أن الشخصية قد تكون في حالة استيعاب للحدث، إلا إنه إذا حدث عدم توازن فهذا يؤدي إلى عدم التطور في البناء السردي للقصة.

وفي بعض القصص تشغل الشخصية حيزاً كبيراً في بنية السرد، وتكون المتحكم في حركة الفعل، والمسيطر على الحدث ما يجعلها " تبرز وتسيطر على الحوادث بما لها من قوة وجاذبية"[٩]، وفي هذه الحالة تمتلك الشخصية زمام الحدث فتدفعه للأمام دفعاً، " ويقوم عبء تنامي القصة على كاهل الشخصية"[١٠]، وفي هذه الحالة تصبح الشخصية مسيطرة " على الحوادث فتحركها تبعاً لرغباتها ووفقاً لحركتها وخطهها"[١١].

ومن شواهد الحدث الذي يصدر عن الشخصية، يقول أبو خراش:

أَبلِغْ عليًّا أطال اللهُ ذُلَّهمُ ... أنّ البُكَير الّذى أَسعَوْا به هَمَلُ

السِّلْمُ سَلْمٌ ولا ينفكّ ضِغثُهُم ... أو يَنحَرَ البَكرَ منّا مَرّةً رَجُلُ

إذا أجارُوا عَوَى في بيتِ جارِهم إمّا حِرابٌ وإمّا مثلَه قُتِلوا

كم من عَقيدٍ وجارٍ حَلَّ عندهمُ ومن مُجارٍ بعهد الله قد قَتَلُوا(١٢).

هذا النص وجه الشاعر أبو خراش مجموعة من الأفعال والأحداث التي تصدر وتم فعلها من بني بكر التي تنم عن أفعال الخسة والندالة التي تصدر منهم، فهو يحرض علي بني بكر ويتمني دوام ذُلهم بعد أن سعوا في قتل رجل استجار بهم وجاورهم، فلم يحفظوه أو يدافعوا عنه وحاربوه .

ويثبت الشاعر لنفسه صفة القوة والشجاعة بقوله: أن بني بكر لا يعرفون حقيقة السِّلم، وأنهم لا يستطيعون قتل أحد من هذيل، كما أثبت أن هذيل تذود عن أرضها وبيوتها، كما أضاف لبني بكر صفة الخيانة بالعهود وأن من يستجير بهم سواء كان عدوًا أو حليفاً، فإنهم يسعَون في قتله.

٢- تأثير الحدث في الشخصية:

الشخصية أحياناً تكون متسيدة الحدث، فكما أن الحدث يتأثر بالشخصية ونتاجاً لها، فأحياناً أخري تتأثر الشخصية بالحدث نفسه، فكما ذكرنا سابقاً أن العلاقة بينهما طردية ديناميكية تحت التأثير والتأثر تبعاً لرؤية القاص أو الشاعر من خلال البنية الروائية للقصيدة ومدي قدرته علي توظيف الأشخاص والأحداث المترابطة بينهم داخل النص.

الأشخاص قد تخضع إلى الحدث ذاته ويكون هو محور الموضوع، وهو مصدر اهتمام المتلقي؛ إذا أراد الراوي جذب انتباه المتلقي إلى الحدث، فنجد الشخصية تتأثر بالأحداث المختلفة وتكون هي المتحكمة في القصة ومركز القوة

والسيادة، " تكون طبيعة الأحداث هي المتحكم في رسم الشخصيات، وإعطائها أبعادها الضرورية، والمحتملة"(١٣).

" كل ما يحدث من أحداث في القصة لابد أن يمسها الحدث أو الفعل الناشئ من قريب أو من بعيد، ويؤثر في تكويناتها، ويلقي الضوء علي اسرارها"(١٤)، فأي تغيير في أحداث القصة فبالتالي يحدث تغيراً علي مستوي الشخصية، سواء كان تغيراً نفسياً أو أيديولوجياً أو اجتماعياً، فهذه التغيرات تؤثر على إدراك الشخصيات للحدث في حد ذاته أو للعالم المحيط به.

تأثير الحدث علي الشخصية إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً، ويشمل هذا التأثير الشخوص بما تصير إليه من تغيرات نفسية، وعقلية، واجتماعية، وبنيتها بشكل عام، " إن الحوادث تبوح بأسرارها علي الشخصيات وتساعد علي تطويرها ونموها، وترك الأثر فيها"(١٥).

ومن شواهد تأثر الشخصية بالحدث، قول ابو خراش في هجرة ابنه أثناء خلافة عمر:

ألا مَن مُبْلِغٌ عنّي خِراشًا ... وقد يأتيك بالنبإِ البعيدُ

وقد يأتيكَ بالأخبارِ من لا ... تجهِّز بالِحذاء ولا تُزِيدُ

يُنادِيه لِيَغبِقَه كُلَيبٌ ... ولا يأتى لقد سَفِهَ الوَليدُ

اتجه الشاعر إلي توظيف شخصيته من خلال تأثرها ببعض الأحداث، وهي هجرة ابنه خراش في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، وخروجه للغزو في بلاد الشام؛ فنري هنا تأثر الشاعر بفراق ابنه والتحولات النفسية والوجدانية للشاعر، وتصوره بأنه أصبح دون ناصر أو معين، بعد أن هلك أهله، وقتل إخوته.

فبعد أن بيَّن الشاعر حالته وتأثره بفراق ابنه، وأنه يريد من يخبره عن أحواله ومن ينقل سوء حالته إلى ابنه من خلال قوله (ألا مَنْ مبلغ عني خراشاً)، وعندما يأتيه كليب ليسقيه اللبن فلا يجده فيُرد بالإناء فارغاً، نجده تحول للحديث عن أثر الحدث والفراق ووقعه علي نفسه، بأنه بعد هجرة ولده أصبح الخير الذي يصيبه قليلاً زهيداً، وشبه هذا الأثر بالكلب الذي يلطخ حلقه وصدره بالدم؛ ليُرى أمام الناس أنه صاد ولكنه لم يصد شئ.

لا فاعلم خِراشُ بأنّ خير الـ ـمُهاجِرِ بعد هِجرتِه زهيد

فإنك وابتغاءَ البِرّ بَعدِى كمخصْوب اللّبان ولا يصيدُ[١٦].

أبرز الشاعر من خلال هذه التجربة أثر الهجر والفراق علي نفسه، مما حاذاه بأن يذهب للخليفة ليشكو له ضعفه وقلة حيلته، ولزيادة تأثير الحدث علي نفس المتلقي، وتناول في حواره ببعض التشبيهات التي تدل علي الضعف والاحتياج كقلة الخير، ودموعه كأنها صغار اللؤلؤ لكثرتها، وشبه نفسه بكلب الصيد الذي لا يصيد، وأصبح دون معين في الحياة بالرغم من وجود ابنه الأخر ويسمي الوليد وعبدهُ كُليب.

المبحث الثالث: الشخصية بالزمان

أهمية الزمان تبرز من خلال علاقته بالشخصية- بجانب المكان- لأن الشخصية لا تقوم بأي فعل داخل العمل الروائي إلا من خلال زمن قام فيه الفعل ومكان حدث به وهو ما يؤكد ترابطهما سوياً " ارتباط الشخصيات بالفضاء هو ارتباط وثيق؛ لأن كل فعل تقوم به الشخصية يجري في زمان، ويقع في مكان"(١٧).

ارتباط الشخصية بالزمن من أهم مظاهره: تجسيد العمر الزمني، ومدي التطور الفكري والاجتماعي؛ فهو يصاحب الشخصية علي طول سير الرواية، ولا تستطيع الشخصية الهروب منه لأن الزمن يتوقف مع الشخصية في حالة واحدة وهي الموت " لو كانت تتمايز عن بعضها تمايزاً داخلياً، بدلاً من أن تذوب مع بعضها البعض، بوصفها أجزاء ترتبط جوهريا، وأن الشخصية والفعل يتكونان تدريجياً علي امتداد الخط الزمني في عملية القراءة والسرد"(١٨).

الزمان يعد من أكثر العناصر تفلتاً وهروباً من الشخصية، فالشخصية لا تستطيع إيقاف الزمن، أو تنأي بنفسها بعيدة عنه، فهذا الارتباط ينفك علي حسب سير العمل أو رغبة المؤلف.

الزمان وعلاقته بالشخصية يولد لنا أبعاداً جديدة، ودلالات أكثر من خلال رؤية الشخصية للزمن الحادث، وتأثره بالحالة النفسية والإنفعالية للشخصية، وهو ما يعطينا مدلول الزمان النفسي وكل شاعر يعبر عنه حسب الموقف الذي وُضع فيه.

وفي تلك العلاقة تتجلى الشخصية والزمن قول: أمية بن أبي عائذ:

إلى الله أشكو الّذى قد أَرَى ... من النائباتِ بعافٍ وعالِ

وإظلالَ هـــذا الزمـــانِ الـــذّى يقلِّـــب بالنـــاس حالًـــا لِحـــال

وجَهـــدَ بَـــلاءً إذا مـــا أتـــى تَطـــاوَلُ أيّامـــه واللّيـــالِ

وقِـــدْمًا تعلّقـــتُ أمَّ الصَّـــبيِّ مِنّـــى علـــى عَـــزَفٍ واكتـــهالِ

فسَـــلِّ الهمـــومَ بعَيْرانـــةٍ واشِكةِ الرَّجْعِ بعـــد انتقـــالِ[١٩].

اعتمد الشاعر علي توظيف الزمان (النائبات- الأيام- الليالي) بمـــدلولات أخري مختلفة، وليس المقصود هنا الزمان الطبيعي، وإنما هو زمان نفسي يدل علي حالة من الحزن والأسى، حيث اعتمد علي التوظيف النفسي لمدلول الزمن بنوائبه المقصود بها المصائب التي حلت عليه، وخوفه من تقلبات الدهر التي تبدل أحـــوال الناس ويقصد هنا تبدل حاله إلى الأسوأ، وما تحمله من جهد والبلاء عليه.

واتجه الشاعر إلى توظيف دلالة ورمزية الليل الذي أدرك من خلالـــه أن لا مفر منه إلا باللجوء إلى الله، فهو يدركه دئماً ويحيط به من كل جانـــب، فلـــيس المقصود بالليل والأيام هنا الطول أو القصر ولا الحركة أو السكون، وإنما الصـــفة والدلالة الواقعة علي الحالة النفسية للشاعر، بل صفة الإدراك وسيطرة الهم والبلاء علي الشاعر، ووجود التقابل بين الزمن النفسي من خلال مأساته مـــع نوائـــب الدهر، والزمن الطبيعي وهو عزوفه عن النساء وكهولته.

وظَّف الشاعر الزمن من خلال تصوير همومه بالعير التي تسير بين الأحجـــار وهو يعطينا رمزية التعود عن المصائب مهما طالت، وجمع الشاعر بين الأمـــان لله والخوف.

□المبحث الرابع: الشخصية بالمكان

طبيعة العلاقة بين الشخصية والمكان تنبع من كونهما مترابطين ومتعددي العلاقات ، حيث تمثل الشخصية المكون الأساسي للعمل القصصي، فكذلك طبيعة المكان فهو يمثل الأرضية الخصبة للعمل وخلفيته وإطاره التي يتحرك من خلاله العمل، هو " المسرح الذي يعرض من خلاله الشخصية كافة نواحيها وأُطرها"[٢٠]، فيُعرض من خلالها ظروف البيئة ومكوناتها وطبيعتها.

تأخد العلاقة بين الإنسان والمكان صوراً وأشكالاً متعددة: أن يأتي المكان معبراً عن الشخصية، وحالتها النفسية والاجتماعية والفكرية، من خلال وصف الشخصية للمكان ووصفها له ورؤيته وإحساسه به، وذلك من خلال التأثير المتبادل بين الشخصية والمكان، فهذا التأثير يوضح لنا طبيعة المكان الذي تعيش فيه والبيئة المحيطة به، " حركة الشخصية ترسم لنا المكان وجمالياته، فالإنسان بدون مكان لا حياة فيه"[٢١].

فالشخصية تتأثر بالمكان لأنها تعيش فيه وتتعايش معه، وتتطبع بما فيه من سمات نفسية واجتماعية وسلوكية من عادات وتقاليد، وتأثير هذا المكان ينطبع بالمقام الأول علي سلوك الشخصية، وتتعدد توظيفات الشاعر لعلاقة الشخصية والمكان، فمنها: المكان الطلليّ، ومكان المعيشة من البيت أو القرية أو الصحراء، ومكان بيت المحبوبة.

ومن شواهد علاقة الشخصية بالمكان، قول (أبو ذؤيب):

تُؤَمِّلُ أنْ تُلاقِيَ أُمَّ وَهْبٍ ... بِمَخْلَفَةٍ إذا اَجْتَمَعَتْ ثَقِيفُ[٢٢]

إذا بُنِيَ القِبابُ على عُكاظٍ ... وقامَ البَيْعُ واجتَمَع الأُلوفُ

تُواعِـــدُنا عُكـــاظَ لَنَنْزِلَنَـــه ولَم تَعلَمْ إذًا أَنِّـــي خَليـــفُ[٢٣]

بـــأرضٍ لا أَنـــيَسَ بِهـــا يَبـــابٍ وأَمْسِلَةٍ مَـــدافِعُهما خَلِيـــفُ[٢٤].

تتشكل صورة العلاقة بين الشخصية والمكان من خلال شخصـــيات أبـــو ذؤيب وأم وهب، وارتباط المكان بأنهم تواعدوا للقاء فيه، فقد تواعـــد هـــو وأم وهب أن يتلاقوا في طريق أو جبل عندما يقام سوق عكاظ في موعده، وإختـــار أرض يباب في سهل بين جبلين لا يوجد بها أحد، فتشكلت صورة المكان ووصفه لدي المتلقي ومدي ارتباطه بالشخصيات وتأثرهم به، وقد تمثل المكـــان هنـــا في عكاظ، وهو مكان واقعي له صلة بإحساس الشاعر ومرتبط به، وحددت صفاته.

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين في الأوليين والأخرين، والصلاة والسلام علي أشرف خير خلق الله؛ وبعد

لقد حاولت في هذه الورقة البحثية التجول داخل بينة الشخصية في شعر الهذليين، وترابطها مع التقنيات والعناصر الأخري داخل القصة الشعرية، مع الأخذ في الاعتبار أن الشعر هو أبو الفنون الأدبية، ومن خلال نظرة مغايرة لتذوق وتحليل الشعر.

نجد أن الشعر، هذا الإرث العظيم فيه ما يحتوي على كثير من ملامح القصة وبدايات نشأتها، ويتضمنها الشعر، وإن كانت القصة ليست محور القصيدة، وإنما على أجزاء منها، وتتكرر هذه القصة مع اختلاف ملامحها وتفاصيلها.

ويمكن استخلاص بعضاً من نتائج هذه الورقة البحثية، فيما يلي:

١- الشخصية هي محور العمل القصصي والبناء، فبناء الشخصية هو من يحدد اللغة المستخدمة في الخطاب، في العمل القصصي.

٢-تقوم القصة داخل الشعر على العلاقة بين شخصيات العمل القصصي الواحد والتفاعلات، والأحداث، والصراعات القائمة بين الشخصيات في هذا العمل.

٣- أن القصص مستمدة من الواقع الحياتي للشعراء الهذليين.

٤-توظيف الشعراء لمجموعة من التقنيات والعناصر الروائية، والترابط بينها؛ كالشخصية والزمان والمكان.

□قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- الشنقيطي: ديوان الهذليين، تحقيق أحمد الزين، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط٢، ١٩٩٥.

٢-السكري:شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار فراج، دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٥.

٣-الأصفهاني، أبي الفرج: الأغاني،ج ٢١.

٤-الزبيدي،: تاج العروس،ج١٢.

٥-الأصمعي: الأصمعيات، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ٢٠١١.

ثانياً: المراجع:

١-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩٩م.

٢-عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ١٩٩٨م.

٣-عبدالناصر هلال: آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٤-محمـــد زيدان: البنية السردية في النص الشعري، الهيئة العامة لقصورالثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥-محمـــد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٥٦م.

٦-موفق مقدادي، البني الحكائية في أدب الأطفال، عالم المعرفة، الكويت، عدد ٣٩٢، ط١، ٢٠١٢م.

ثالثاً: المعاجم:

١-ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١١.

المراجع الأجنبية:

١-والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترحياة جاسم، االمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.

الهوامش والإحالات :

(١) انظر، عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٨٥.

(٢) نفسه، ص ٨٦.

(٣) انظر، حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩٩م ، ص ٢٠٨.

(٤) ديوان الهذليين، الشنقيطي، تحقيق: أحمد الزين، دار الكتب المصرية:ط٢، ١٩٩٥م: ج٣، ص:٨١.

(٥) ديوان الهذليين: ج٣، ص:٨٢.

(٦) انظر، عبد الناصر هلال، آليات السرد في الشعر العربي، مركز الحضارة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م ، ص ١٠٧.

(٧) انظر، محمـــد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٥٦م ، ص٥١ : ٥٣.

(٨) انظر، والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ص١٥٥، ١٦٠.

(٩) انظر، محمـــد يوسف نجم: فن القصة، ص١٧ : ١٨.

(١٠) انظر، محمـــد زيدان: البنية السردية في النص الشعري، الهيئة العامة لقصورالثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ١٩٠.

(١١) انظر، محمـــد يوسف نجم: فن القصة، ص١٢٠.

(١٢) ديوان الهذليين: ج٢، ص:١٦٧: ١٦٨.

(١٣) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: ٢٠٧.

(١٤) محمـــد يوسف نجم: فن القصة، ص ١٨ .

(١٥) محمـــد يوسف نجم: فن القصة، ص ١٢٢ .

(١٦) ديوان الهذليين: ج٢، ص:١٧٠: ١٧١.

(١٧) انظر، موفق مقدادي، البني الحكائية في أدب الأطفال، عالم المعرفة، الكويت، عدد ٣٩٢، ط١، ٢٠١٢، ص ١٢٩.

(١٨) انظر، والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة جاسم محمـــد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م ، ص ١٥٢.

(١٩) ديوان الهذليين: ج٢، ص:١٧٣: ١٧٤.

(٢٠) انظر، عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص ١٥٨.

(٢١) انظر، موفق مقدادي، البني الحكائية في أدب الأطفال، ص ١٣١.

(٢٢) في رواية: "أم عمرو" مكان قوله: " أم وهب"، ورواية أم عمرو عن أبي بكر الحلوانيّ وحده.

وفي تاج العروس للزبيدي،ج١٢، ص١٩٧، المخلفة، كمرحلة: الطريق، في سهل كان أو جبل، ومخلفة منى: حيث ينزل الناس.

(٢٣) عكاظ: رواية الأصمعي، وفي رواية السكري: " تواعدنا الربيق" والربيق: واد بالحجاز.

(٢٤) ديوان الهذليين: ج١، ص:٩٨: ١٠١.